الآداب | مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات والبحوث الإنسانية
(EISSN): 2707-5192 ISSN: 2616-5864

العدد الثامن عشر 18
مـــارس 2021

الإمداد في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

د. فهد بن علي العندس *

fahadandas@gmail.com

الملخّص:

يهدف هذا البحث إلى محاولة الوقوف على آيات المدد والإمداد في القرآن الكريم، واستقرائها وبيان آراء العلماء فيها والمقارنة بين الإمداد والمد، وبين المدد والتأييد، وسوف أدرسها دراسة موضوعية من أجل الوقوف على معاني الإمداد والمدد في القرآن الكريم، وسأستعين بالمنهج الاستقرائي والتحليلي في دراسة هذا الموضوع، وذلك ضمن خمسة مباحث، تضمن كل مبحث عددا من المطالب، وقد استنتج الباحث عددا من النتائج، من أهمها: أن ألفاظ المد والمدد والإمداد وردت في القرآن الكريم كثيرا، إذ تجاوزت خمس عشرة آية بتصاريفها المتعددة، وهناك فرق بين الإمداد والتأييد، وجاء مفرد المد في القرآن الكريم على أنواع ثلاثة، وأحصى الباحث للإمداد في القرآن الكريم ثمانية أنواع، وشروطا عدة للنصر.

الكلمات المفتاحية: الإمداد، المدد، المد، التأييد، القرآن الكريم.

* أستاذ التفسير المشارك - قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية - جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز - المملكة العربية السعودية.

DOI: 10.35696/1915-000-018-006

الآداب | مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات والبحوث الإنسانية
(EISSN): 2707-5192 ISSN: 2616-5864

Supply in the Holy Quran

An Objective Study

Dr. Fahd Bin Ali Al-Andas *

fahadandas@gmail.com

Abstract:

This research aims to find out the verses of *Imdād* 'supplies' and *mad* 'support' in the Holy Quran with a view to explaining the Islamic scholars' opinions about them, and to compare between *Imdād* "supply" and *mad* "support". The researcher will use the inductive and analytical methodology to study this topic. The research consists of five sections and each section includes a number of sub-sections. The research has concluded a number of results, the most important of which are: the terms under investigation have been repeatedly used in more than fifteen verses in the Holy Quran. There is a difference between *imdād* 'supply' and *t'ayīd* 'support'. The singular form of *mad* "support" appeared in the Holy Qur'an in three different types. The study has enumerated eight types and several conditions for victory in the Holy Qur'an.

Keywords: *Imdād*, *mad*, *t'ayīd*, *madad*, the Holy Quran.

* Associate Professor of Interpretation, Department of Islamic Studies, Faculty of Education, Prince Saddam Bin Abdulaziz University, Saudi Arabia.

المقدمة:

الحمد لله ذي الفضل والإحسان، الذي مَنّ عليّ بفضله وإحسانه، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد..

فإن الاشتغال بكتاب الله تعالى شرف عظيم، إليه تتجه المهمات، ويعد من أفضل القربات.

وإن كتاب الله وسنة رسول الله يزخران بنصوص دالة على الجهاد في سبيل الله، وتبشر المؤمنين بالنصر والتمكين والإعانة، وأنه ينصرهم بمدد من عنده سبحانه وتعالى.

والإمداد لا يقتصر على مفهومه الضيق كما يفهمه الكثيرون بأنه العدد والعتاد للمقاتلين فحسب، بل يمثل جوانب عديدة يصعب حصرها، فالجوانب (الاستخباراتية) وعلى رأسها الاستطلاع إمداد، والصيانة إمداد، والاتصالات بأنواعها إمداد، والإخلاء الطبي إمداد... إلخ.

ولما كان القرآن العظيم هو كتاب هذه الأمة الخالد إلى قيام الساعة، وهو الكتاب الذي استنارت به هذه الأمة في سنين عزها ومجدها فقادها إلى النصر والتمكين، كان لزاما علينا في كل وقت وحين أن نعود إليه ونستنير بنوره وننهل من معينه، فقد قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُون﴾ [الأنعام:38].

وإن المتأمل لكتاب الله تعالى ليعجب أشد العجب من القواعد الثابتة العظيمة التي يقعدها هذا الكتاب العزيز لكل علم من العلوم أيًّا كان نوعه.

ومن هذه العلوم ما يتعلق بالجوانب العسكرية، ومن أبرزها قضية الإمداد، فقد بيّن كتاب الله تعالى أهمية الإمداد وأثره على الجيوش العسكرية، كما بيّن أنواع الإمداد وخصائصه، باعتبار الإمداد علما يستحق منا كل عناية وتدبر.

ويأتي في مقدمة ذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِين{9} وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيم﴾ سورة الانفال الآية (9-10).

وعلى الرغم من أن الإمداد يمثل القضية الرئيسة والعنصر الأهم للجيوش أيا كان حجمها وطبيعتها، فإن العناية به -كعلم له أهميته- لا تزال دون المطلوب بمراحل، وإن الباحث عن المؤلفات في هذا الباب باللغة العربية لا يكاد يقف منها إلا على النزر اليسير الذي يشكل غالبيته الكتب المترجمة في هذا الموضوع.

وهذا كله دفعني إلى جمع ما تفرق في القرآن الكريم من مادة "مدد"، ودراستها.

لذا فقد استعنت بالله تعالى على استخلاص ما أمكنني استخلاصه في هذا البحث، عسى أن يكون مفتاحا للمتخصصين في هذا العلم، ومن حملوا على عواتقهم حماية ديار المسلمين ومقدساتهم وشرفوا بذلك؛ ليرى العالم من خلالهم مقدار ما عندنا في الكتاب والسنة من الثروات العلمية والعملية العظيمة التي لا غنى لبشر عنها كائنا من كان.

وقد اشتمل البحث على مقدمة، وهيكل الخطة، واشتملت المقدمة على أهمية البحث وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

واشتملت الخطة على خمسة مباحث كل منها يحتوي على عدة مطالب:

المبحث الأول: ماهية الإمداد، وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: معنى الإمداد

المطلب الثاني: مفهوم الإمداد (والفرق بينه وبين التأييد)

المطلب الثالث: الفرق بين الإمداد والمد

المطلب الرابع: أنواع المد في القرآن

المبحث الثاني: أهمية الإمداد ودوره، وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: رفع الروح المعنوية

المطلب الثاني: تخويف العدو

المطلب الثالث: التعبئة والحشود

المبحث الثالث: أنواع الإمداد، وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: الإمداد الحسي

المطلب الثاني: الإمداد المعنوي

المطلب الثالث: الإمداد المعاكس

المبحث الرابع: خصائص الإمداد، وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: التدرج

المطلب الثاني: التنوع

المطلب الثالث: مناسبة الموقف

المبحث الخامس: شروط الإمداد، وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: الصبر

المطلب الثاني: التقوى

المطلب الثالث: الدعاء والاستغاثة

المطلب الرابع: الاستغفار

الخاتمة، وفيها: أهم النتائج التي توصل إليها البحث

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تكمن أهمية البحث في قضايا جوهرية عدة نختصرها فيما يأتي:

أولًا: أن الإمداد لا يقتصر على مفهومه الضيق كما يفهمه الكثيرون، بل يمثل جوانب عديدة كالصيانة، والاتصالات بأنواعها، والإخلاء الطبي... إلخ. فحصر هذه المادة وجمعها ودراستها وإخراجها للناس أمرٌ مهمٌّ.

ثانيًا: أن القرآن العظيم هو كتاب هذه الأمة الخالد إلى قيام الساعة، وهو الكتاب الذي استنارت به هذه الأمة في سنين عزها ومجدها فقادها إلى النصر والتمكين، وهذا دفعني إلى جمع هذه المادة من القرآن الكريم ودراستها.

ثالثًا: أن المتأمل في كتاب الله تعالى يعجب أشد العجب من القواعد الثابتة العظيمة التي يقعدها هذا الكتاب العزيز لكل علم من العلوم أيا كان نوعه، فوجب جمع هذه المادة منه وإبرازها لمن يحتاجها من المسلمين، لاسيما المجاهدين.

رابعًا: على الرغم من أن الإمداد يمثل القضية الرئيسة والعنصر الأهم للجيوش، فإن العناية به -كعلم له أهميته- لا تزال دون المطلوب بمراحل، وإن الباحث عن المؤلفات في هذا الباب باللغة العربية لا يكاد يقف منها إلا على النزر اليسير الذي يشكل غالبيته الكتب المترجمة في هذا الموضوع. وهو ما دفعني إلى إعداد هذا البحث.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى أمور عدة أجملها فيما يأتي:

أولًا: جمع ما تفرق في القرآن الكريم من كلمة "مدد" وما تصرف منها.

ثانيًا: دراسة كلمة المدد وما تصرف منها، وما تنوع في القرآن الكريم.

الدراسات السابقة

- بعد الاطلاع -قدر استطاعتي- على الرسائل الجامعية والأبحاث العلمية، ومن ثمَّ الكتب المطبوعة وجدت بعض الرسائل والدراسات السابقة التي تناولت المفردات القرآنية العسكرية منها أو غير العسكرية، فلم أجد منها بحثا يتناول الإمداد أو المدد في القرآن الكريم، ما عدا بعض البحوث التي تناولت المدد من ناحية لغوية فقط، وهي:

- بحث بعنوان: ألفاظ المد والإمداد في القرآن الكريم (دراسة نحوية) للطالبة: هدى محمد

صالح، وهي جزء من استكمال دراسة الماجستير جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات، قسم اللغة العربية. 2011م.

- آيات المد والمدد في القرآن الكريم (دراسة بلاغية) بحث ترقية للأستاذة ثناء نجاتي عياش، مجلة الدراسات القرآنية، في العراق.
- المدد عند الصوفية للشيخ أبي الوفاء محمد درويش. مقالات الألوكة، سنة 2012م.

وليس فيما سبق ما يرتبط ببحثنا هذا إلا من زاوية بعيدة وهي كونها في القرآن الكريم، والله تعالى أعلم.

منهج البحث:

- **منهج الدراسة وتقسيمها**

اقتضت طبيعة البحث أن يكون المنهج العلمي هو المنهج الاستقرائي التحليلي، تبعًا للخطوات المتعارف عليها في التفسير الموضوعي، وذلك كما يلي:

1- جمع ما تفرق في القرآن الكريم من ألفاظ: مدد وأمد والإمداد وما تصرف منها.

2- توزيع الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع على خمسة مباحث، واشتمل كل مبحث على عدة مطالب.

3- عزو الآيات القرآنية المستشهد بها في أثناء البحث في المتن، بذكر اسم السورة ورقم الآية.

4- بيان معاني المفردات من خلال الرجوع إلى المعاجم اللغوية، وأقوال المفسرين.

5- ذكر التعريف اللغوي، دون الاصطلاحي؛ لأن الاصطلاحي غالبا ما يتناوله المفسرون.

6- ذكر النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث في دراسته.

7- ذكر قائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث في أثناء بحثه ودراسته.

المبحث الأول: ماهية الإمداد، وفيه مطالب

المطلب الأول: معنى الإمداد

أولا: المعنى اللغوي

الأمداد: جمع مدد وهم الأعوان والأنصار الذين كانوا يمدون المسلمين في الجهاد.

أي الذين يعينونهم ويكثرون جيوشهم ويتقوون بزكاة أموالهم. وكل ما أعنت به قوما في حرب أو غيره، فهو مادة لهم. ويقال: يقال: أمده يمده، فهو ممد.

ومد النهار إذا ارتفع. ومد الدواة وأمدها: زاد في مائها ونقسها؛ ومدها وأمدها: جعل فيها مدادا، وكذلك مد القلم وأمده. واستمد من الدواة: أخذ منها مدادا؛ والمد: الاستمداد منها، وقيل: هو أن يستمد منها مدة واحدة؛ قال ابن الأنباري: سمي المداد مدادا لإمداده الكاتب، من قولهم: أمددت الجيش بمدد؛ قال الأخطل:

رأوا بارقاتٍ بالأكفِّ كأنها مصابيح سرج، أوقدت بمداد[1]

وأمد الْجُرْحُ يمد إمدادا: صَارَتْ فِيهِ مِدَّةٌ؛ وَأَمْدَدْتُ الرَّجُلَ مُدَّةً. ويقال: مُدَّنِي يَا غُلَامُ مُدَّةً مِنَ الدَّوَاةِ، وإن قلت: أَمْدِدْنِي مُدَّةً كَانَ جَائِزًا وَخَرَجَ عَلَى مَجْرَى الْمَدَدِ بِهَا وَالزِّيَادَةِ. وَالْمُدَّةُ أَيْضًا: اسْمُ مَا اسْتَمْدَدْتَ بِهِ[2].

ثانيا: مفهوم المد والمدد والإمداد في الاصطلاح

المد الجذب والمطل. والمادة: الزيادة المتصلة، ومده في غيه: أمهله وطول له[3]. والإمداد أن يرسل الرجل للرجل مددا، تقول: أمددنا فلانا بجيش، قال الله تعالى: ﴿هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ﴾[آل عمران:125]، وقال جل وعلا في المال: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِين﴾[المؤمنون:55] هكذا قرئ: نمدهم بضم النون[4]، وقال جل في علاه: ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾[الإسراء:6]، فالمدد ما أمددت به قومك في حرب أو غير ذلك من طعام أو أعوان[5].

ويقال: مدَّ النهار مدًّا: انبسط ضياؤه، ومدَّ فلانٌ في سيره: مضى، ومدَّ الشيءَ: زاد فيه ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾[لقمان:27]. ومدَّ الجيشَ: أعانه بمَدَدٍ يقويه. ومدَّ القومُ الجيشَ: كانوا مددًا له[6].

و مد الحرف يمده مدا: طوله، وقال اللحياني: مد الأرض يمدها مدا بسطها وسواها، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّت﴾[الانشقاق:3]، وفيه: {وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾[الحِجر:19].

ويقال: مددت الأرض مدا إذا زدت فيها ترابا أو سمادا من غيرها ليكون أعمر لها وأكثر ريعا لزرعها، وكذلك الرمال والسماد مداد لها[7].

وقال في التبيان: "الإمداد: إعطاء الشيء حالا بعد حال"[8].

المطلب الثاني: مفهوم الإمداد (والفرق بينه وبين التأييد)

قال الله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾[التوبة:40].؟ ولا شك أن هذا من الإمداد.

ومعنى أيده: قواه، وهو ما جاء عند الطبري في تفسيره؛ فقال: "قواه بجنود من عنده من الملائكة لم تروها أنتم"[9].

وقال ابن الجوزي: "وأيده أي قواه، يعني النبي صلى الله عليه وسلم بلا خلاف،﴿بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾، وهم الملائكة"[10]

واختلف المفسرون في تحديد الزمان والمكان الذي كان ذلك على قولين:

أحدهما: يوم بدر ويوم الأحزاب ويوم حنين، قاله ابن عباس.

ورجح أبو السعود أن "الجنود هم الملائكة النازلون يوم بدر والأحزاب وحنين"[11]، ورفض القول بأنهم الملائكة أنزلهم الله ليحرسوه في الغار، وسبب هذا عنده أنه " يأباه وصفهم بعدم رؤية المخاطبين، لهم وقوله عز وجل: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى﴾[التوبة:40]، يعني

الشـرك أو دعـوة الكفـر، فـإن ذلـك الجعـل لا يتحقـق بمجـرد الإنجـاء بـل بالقتـل والأسـر ونحـو ذلك"[12].

واختار الشوكاني أن ذلك كان يوم بدر فقال: "﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ فإنه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه المؤيد بهذه الجنود التي هي الملائكة كما كان في يوم بدر"[13].

والقـول الثـاني: لمـا كان في الغـار، حيـث صـرفت الملائكـة وجـوه الكفـار وأبصـارهم عـن رؤيته، قاله الزجاج.

وقـد أورد البيضـاوي القـولين معـا دون تـرجيح بينهمـا، ويبـدو أنـه غير منشـغل بمسـألة تحديد زمان ومكان التأييد، وكأنه موقن بأن التأييد حدث في الحالتين، بأسلوبين مختلفين: الحماية في الغار، والإعانة على الكفار يوم بدر والأحزاب وحنين، ثم ذكر البيضاوي وجها ثالثا: وهو حفظه ونصره له حيث حضر. قال البيضاوي: "﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾، يعني الملائكة أنـزلهم ليحرسـوه في الغـار أو ليعينـوه على العـدو يـوم بـدر والأحـزاب وحنـين، فتكـون الجملـة معطوفـة علـى قولـه: ﴿نَصَـرَهُ اللّـهُ﴾، وقولـه: ﴿وَجَعَـلَ كَلِمَـةَ الَّـذِينَ كَفَـرُواْ السُّـفْلَى﴾ [التوبة:40]،يعني الشرك أو دعوة الكفر، ﴿وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التوبة:40]يعني التوحيد أو دعوة الإسلام، والمعنى: وجعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله عليه وسلم عن أيدي الكفار إلى المدينـة فإنـه المبـدأ، أو بتأييـده إيـاه بالملائكـة في هـذه المـواطن، أو بحفظـه ونصـره لـه حيـث حضر"[14].

أما قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِين﴾[الأنفال:62]، فمعناه أيضا: قوّاك، كما ذكره الطبري فقال: " ﴿هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ﴾، يقول: الله الذي قواك بنصره إياك على أعدائه وبالمؤمنين، يعني بالأنصار"[15].

وهـو مـا ذكـره القرطبي فقـال: "قـواك بنصـره يريـد يـوم بـدر وبـالمؤمنين، قـال النعمـان بـن بشير: نزلت في الأنصار... وقال ابن عباس: نزلت في إسلام عمر فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان أسلم معه ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة فأسلم عمر، وصاروا أربعين"[16].

ولعله يتبين مما سبق أن هناك حالتين تتعلقان بأسباب النزول الواردة بهما: الأولى: يكون فيها النبي صلى الله عليه وسلم في حالة حرب ومواجهة مع عدو مباشر. والثانية يكون النبي صلى الله عليه وسلم فيها في حال تكذيب وعناد مع المشركين في غير حرب أو مواجهة، فلعل الإمداد يتعلق بالحالات التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعيش فيها حالة حرب تستلزم المدد المباشر بقوات وجنود تشارك مشاركة حسية ملموسة، والتأييد يتعلق بالحالات التي كان فيها النبي صلى الله عليه وسلم في حال دعوة سلمية للمشركين بعيدة عن الحروب والواجهات المباشرة كوجوده في الغار يوم هجرته، وتأييد الله له بإسلام عمر بن الخطاب، والله تعالى أعلم.

المطلب الثالث: الفرق بين الإمداد والمد

قال البغوي: الإمداد إعانة الجيش. وقيل: ما كان على جهة القوة والإعانة يقال فيه: أمده إمدادا، وما كان على جهة الزيادة يقال فيه: مده مددا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ﴾ [لقمان:27]. وقيل: المد في الشر والإمداد في الخير؛ يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[البقرة:15]، {وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾[مريم:79]، وقال في الخير: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[الأنفال:9]، وقال: ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [الإسراء:6][17]. ومثل: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ﴾ [الطور:22].

وفي موضع سابق من تفسيره قال البغوي: "والمد والإمداد واحد وأصله الزيادة إلا أن المد كثيرا ما يأتي في الشر، والإمداد في الخير"[18].

قال ابن منظور: "قال يونس: ما كان من الخير فإنك تقول: أمْدَدته، وما كان من الشر فهو مدَدت"[19].

وقال الشوكاني: " قال الأخفش: مددت له إذا تركته، وأمددته إذا أعطيته"[20].

وقال الآلوسي: "المد من مد الجيش، وأمده بمعنى، أي ألحق به ما يقويه ويكثره. وقيل: مد: زاد من الجنس، وأمد: زاد من غير الجنس. وقيل: مد في الشر وأمد في الخير عكس وعد وأوعد. وإذا

استعمل أمد في الشر فلعله من باب ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيم﴾[الانشقاق:24]، وقد ورد استعمال هذه المادة بمعنيين: أحدهما ما ذكرنا، وثانيهما الإمهال ومنه مد العمر"[21].

ومن تتبع نصوص القرآن الكريم في المد والإمداد يظهر -والله أعلم- أن المد للخير والإمداد للشر، إلا أنه قد ورد المد في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيم﴾[لقمان:27]، فإن المد هنا غير المد الذي نتحدث عنه، فهو من قولهم: مدَّه نهر آخر، وليس هو مما ذكرناه من الإمداد والمد المحبوب والمكروه، وإنما من قولهم: مددت الدواة أمدها.

المطلب الرابع: أنواع المد في القرآن

ومما يزيد الفرق وضوحا بين الإمداد والمد، معرفة أنواع المد في القرآن الكريم، فهي متعددة، نذكر منها:

1- **المد في الطغيان**: وهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُون﴾ [البقرة:15]، قال اللحياني: معناه يمهلهم، وطغيانهم: غلوهم في كفرهم[22].

وقال الشوكاني: " المراد أن الله سبحانه يطيل لهم المدة ويمهلهم كما قال: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا﴾[آل عمران:178]"[23].

ومن المحتمل أن ﴿يمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ بمعنى يريدهم ويقويهم فيه، وإلى ذلك ذهب البيضاوي وغيره، والإمهال هنا محتمل، وإليه ذهب الزجاج وابن كيسان [24].

وقال الآلوسي: "ونسبة المد إلى الله تعالى بأي معنى كان عند أهل الحق حقيقة؛ إذ هو سبحانه وتعالى الموجد للأشياء المنفرد باختراعها على حسب ما اقتضته الحكمة ورفعت له أكفها الاستعدادات، ونسبته إلى غيره سبحانه وتعالى في قوله عز شأنه: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾ [الأعراف:202]، نسبة التوفي إلى الملك في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة:11]، مع قوله جل وعلا: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ﴾ [الزُّمَر:42]، وذهبت المعتزلة أن الزيادة في الطغيان

والتقوية فيه مما يستحيل نسبته إليه تعالى حقيقة، وحملوا الآية على محامل أُخر، وقد قدمنا ما يوهن مذهبهم فلنطوه هنا على ما فيه"[25].

2- **المد في الغي:** ذكر الله تعالى المد في الغي فقال: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُون﴾[الأعراف:202]، أي تعاونهم الشياطين في الضلال وذلك بأن يزينوه لهم ويحملوهم عليه. وقرأ الجحدري: (يمادونهم)[26] من باب المفاعلة وهي هنا مجازية، كأن الشياطين يعينونهم بالإغراء وتهوين المعاصي عليهم، وهؤلاء يعينون الشياطين بالاتباع والامتثال. ﴿ثُمَّ لاَ يُقْصِرُون﴾ أي لا يمسكون ولا يكفون عن إغوائهم[27].

3- **المد في الضلالة:** قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلاَلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم:75]، فمن كان في الكفر والعمى عن التوحيد ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾، أي يمد له الرحمن ﴿مَدًّا﴾ في الدنيا: يستدرجه[28].

وقال الزجاج: وهذا لفظ أمر، ومعناه الخبر، والمعنى أن الله تعالى جعل جزاء ضلالته أن يتركه فيها. قال ابن الأنباري: خاطب الله العرب بلسانها وهي تقصد التوكيد للخبر بذكر الأمر يقول أحدهم: إن زارنا عبد الله فلنكرمه، يقصد التوكيد وينبه على أني ألزم نفسي إكرامه. ويجوز أن تكون اللام لام الدعاء على معنى: قل يا محمد من كان في الضلالة فاللهم مد له في النعم مدا. ومعنى مد الله تعالى له إمهاله في الغي[29]، أو يعني أمهله وأملى له في العمر ليزداد طغيانا وضلالا[30] كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا﴾ [آل عمران:178].والله تعالى أعلى وأعلم.

المبحث الثاني: أهمية الإمداد ودوره، وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: رفع الروح المعنوية

لا شك أن الوعد بالإمداد يرفع الروح المعنوية ويقوي الرغبة القتالية، وقد جاء وعد الله بالإمداد لتحقيق الاطمئنان في قلوب المؤمنين، وتبشيرا لهم بالنصر، وهذا أعلى مسببات ارتفاع الروح المعنوية؛ ويتضح هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون {133}إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِين{134} بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِين{135}وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[آل عمران:126].

فالله جعل الإمداد تبشيرا للمؤمنين بالنصر، وبثا للاطمئنان في قلوبهم، مما يرفع روحهم المعنوية.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِين {9}وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:10]، ويتضح من هذه الآيات أن المؤمنين لما شعروا بضعفهم استغاثوا بالله تعالى، فوعدهم بالإمداد، مما حقق لهم بشرى بالنصر، واطمأنت قلوبهم، وهذا يعنى ارتفاع الروح المعنوية.

وفضلا عن ذلك فإن وعد الله بفتح أراضٍ جديدة، هو إمداد معنوي كبير؛ إذ يرفع الروح المعنوية كذلك، وعلى سبيل المثال فإن الله وعد المسلمين بأراضٍ سيفتحونها؛ مما رفع روحهم المعنوية وزاد في رغبتهم القتالية، فقال: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَؤُوهَا﴾[الأحزاب:27]، يعني خيبر، ولم يكونوا نالوها؛ فوعدهم الله تعالى إياها[31]، مما بث الحماس مجددا فيهم ورفع من روحهم المعنوية.

كما أن وعد الله للشهداء بالجنة، يجعل المقاتل المسلم يقاتل قتال الشجعان، لا الجبناء. ولا يُنسى ما فعله أبو دجانة في مواقفه القتالية الرائعة في سبيل الله، ولا شك أن هذه المواقف تنم عن روح معنوية عالية، كان من أسبابها اليقين بدخول الجنة لكل من يستشهد في سبيل الله. قال أنس: ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ سيفا يوم أحد فقال: "من يأخذ مني هذا؟"، فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا أنا. قال: "فمن يأخذه بحقه؟"، قال: فأحجم القوم، فقال سماك بن خرشة أبو دجانة: أنا آخذه بحقه. قال: فأخذه ففلق به هام المشركين[32].

ثم إن من أنواع الإمداد التي ترفع الروح المعنوية أن يرى المؤمنون الأعداء مرعوبين، ولذا فإن قذف الله تعالى الرعب في قلوب الأعداء مما يرفع الروح المعنوية رفعا شديدا. وكذلك الوعد بقذف الرعب في قلوب الأعداء، يرفع روح المؤمنين القتالية.

المطلب الثاني: تخويف العدو

تخويف الله تعالى للعدو إمداد إلهي للمؤمنين، ففيه ترجيح لكفتهم القتالية، وإعطاؤهم فرصة ليصولوا ويجولوا بين صفوف العدو المرعوب.

وكل ما جاء في القرآن من وعد بالإمداد الإلهي للمؤمنين سواء كان إمدادا ماديا أم معنويا، يؤدي إلى تخويف العدو وإضعاف إرادته، ومن هنا فإن من وظائف الإمداد تخويف العدو، وإشعاره بأنه أمام خصم لا يضعف؛ لأن وراءه إمدادا إلهيا.

وتخويف العدو لا يكون أثرا للإمداد فقط، بل يكون كذلك عن طريق الوعد بقذف الخوف الشديد في قلوب الأعداء، وعن طريق الأمر الإلهي بقتلهم بضرب الأعناق، وضرب كل بنان، وهذا ما نجده في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[الأنفال:12]، ففي هذه الآية الكريمة وعد من الله بإلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا، وأمر منه سبحانه للمؤمنين بالضرب فوق الأعناق. وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿فَوْقَ الأَعْنَاقِ﴾ فقال بعضهم: معناه فاضربوا الأعناق، وقال بذلك: عطية والضحاك وغيرهما. واحتج قائلو هذه المقالة بأن العرب تقول رأيت نفس فلان بمعنى رأيته، قالوا: فكذلك قوله: ﴿فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ﴾ إنما معناه فاضربوا الأعناق. وقال آخرون: بل معنى ذلك فاضربوا الرؤوس، وقال بذلك عكرمة وغيره. وعلل قائلو هذه المقالة بأن الذي فوق الأعناق الرؤوس، وقالوا: وغير جائز أن تقول فوق الأعناق فيكون معناه الأعناق، قالوا: ولو جاز كان أن يقال تحت الأعناق فيكون معناه الأعناق. قالوا: وذلك خلاف المعقول من الخطاب وقلب معاني الكلام.

وقال آخرون: معنى ذلك فاضربوا على الأعناق وقالوا: على وفوق معناهما متقاربان؛ فجاز أن يوضع أحدهما مكان الآخر. ورجح الطبري أن الصواب من القول في ذلك أن يقال: "إن الله أمر المؤمنين وعلمهم كيفية قتل المشركين وضربهم بالسيف أن يضربوا فوق الأعناق منهم والأيدي والأرجل وقوله: ﴿فوق الأعناق﴾ محتمل أن يكون مرادا به الرؤوس ومحتمل أن يكون مرادا به فوق جلدة الأعناق، فيكون معناه: على الأعناق، وإذا احتمل ذلك صح قول من قال: معناه الأعناق. وإذا كان الأمر محتملا ما ذكرنا من التأويل لم يكن لنا أن نوجهه إلى بعض معانيه دون بعض إلا بحجة يجب التسليم لها، ولا حجة تدل على خصوصه"[33].

ومهما كان أمر هذا الخلاف فإن أثره على الكافرين سيكون الخوف الشديد والشعور بالرعب، والله تعالى أعلم.

المطلب الثالث: التعبئة والحشود

للإمداد أهمية ودور كبيران في المعارك، فهو يزيد أعداد المقاتلين، ويشد من أزر وعزيمة المقاتلين في أصعب اللحظات، فلو كانت هناك مجموعة صغيرة تقاتل مجموعة كبيرة، فإن المجموعة الصغيرة قد تستسلم طلبا للنجاة، وشعورا منها بأن المعركة محسومة لصالح المجموعة الكبيرة، لكن إذا عرفت المجموعة الصغيرة أن الإمداد آت فإن هذا يقوي من إرادة النصر عندها، ويدعم روح الصبر والصمود لديها. وهذا المعنى نجده في قوله تعالى: ﴿بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِين {125} وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيم {126}لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِين﴾[آل عمران:127].

والإمداد يؤدي إلى تكثير العدد، وتكثير سواد الجيش، كما أن نوعية الإمداد لها دور في الجودة والسرعة والجدوى، ولذا فإن الإمداد الإلهي للمؤمنين متنوع حسب المواقف، وتختلف نوعيته حسب متطلبات المعركة، فملاءمة نوعية الإمداد لحاجات المعركة لها دور في جودة أداء

المقاتلين وجدواه. وكذلك فإن تنظيم عملية الإمداد يسهم في ضبط توزيع الحشود حسب المهام القتالية المكلفة بها.

المبحث الثالث: أنواع الإمداد، وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: الإمداد الحسي

أولا: الملائكة

تعتبر الملائكة من أهم أنواع الإمداد الحسي للمؤمنين في القتال، سواء كانوا مردفين، أم مسومين، أم منزلين. ويعلمنا -جل وعلا- مسألة اتخاذ الوسائل وإحسان التدابير، فلا بد من وجود مخزون استراتيجي، فالملائكة بمثابة المخزون الاستراتيجي الذي لا يستخدم دفعة واحدة بل على مراحل حسب ظروف القتال، وعلينا -نحن المسلمين- أن نتعلم ألا ندخل معركة بكل مخزوننا الاستراتيجي دفعة واحدة، بل لا بد أن نحتفظ بهذا المخزون ونخرجه بقدر مناسب على مراحل.

وقد كان الإمداد الإلهي بالملائكة أمرا واضحا في عدد من معارك المسلمين الأوائل، ومن هذه المعارك معركة بدر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون {123}إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِين{124} بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِين {125} وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيم {126} لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِين﴾ [آل عمران:127].

وقد اختلف المفسرون في هذا الوعد متى كان ومتى تحقق، وهناك عدة أقوال:

القول الأول: إن الله عز وجل كان وعد المؤمنين يوم بدر أن يمدهم بملائكته إن أتاهم العدو من فورهم فلم يأتوهم ولم يمدوا:

فقد روى ابن أبي حاتم عن عامر -يعني الشعبي-: " أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر المحاربي يمد المشركين فشق عليهم فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِين﴾ إلى قوله: ﴿مسوِّمِين﴾ قال: فبلغت كرزًا الهزيمة فلم يمد المشركين ولم يمد المسلمون بالخمسة"[34].

وعن الحسن في قوله: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِين﴾... الآية، قال: "هذا يوم بدر"[35].

القول الثاني: كان هذا الوعد من الله لهم يوم بدر فصبر المؤمنون واتقوا الله فأمدهم بملائكته على ما وعدهم:

قال قتادة والحسن: الألف والثلاثة آلاف، والخمسة آلاف كلها كانت في بدر[36]. وهناك من قالوا إنهم لم يقاتلوا إلا يوم بدر[37]، مثل ابن عباس ومجاهد قالا: لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون ولا يقاتلون إنما يكونون عددا ومددا لا يضربون [38]. وقال عباد بن منصور عن الحسن في قوله: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ﴾، قال: هذا يوم بدر. رواه ابن أبي حاتم[39]، واختار ابن جرير الطبري، وابن كثير وغيرهما الرأي الأول: الإمداد بالملائكة خاص ببدر وفيما سوى ذلك يشهدون ولا يقاتلون[40].

القول الثالث: إن الله عز وجل إنما وعدهم يوم بدر، إن صبروا عند طاعته وجهاد أعدائه واتقوه باجتناب محارمه، أن يمدهم في حروبهم كلها فلم يصبروا ولم يتقوا إلا في يوم الأحزاب، فأمدهم حين حاصروا قريظة، فقد روى الطبري عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كنا محاصري قريظة والنضير ما شاء الله أن نحاصرهم، فلم يفتح علينا فرجعنا، فبينما رسول الله في بيته يغسل رأسه إذ جاءه جبريل فقال: يا محمد وضعتم أسلحتكم ولم تضع الملائكة أوزارها. فدعا رسول الله بخرقة فلف بها رأسه ولم يغسله ثم نادى فينا، فقمنا كالزمعين[41] لا نعبأ بالسير شيئا حتى أتينا قريظة والنضير، فيومئذ أمدنا الله عز وجل بثلاثة آلاف من الملائكة، وفتح الله لنا فتحا يسيرا، فانقلبنا بنعمة من الله وفضل[42].

القول الرابع: قال آخرون بنحو هذا المعنى غير أنهم قالوا: لم يصبر القوم ولم يتقوا ولم يمدوا بشيء في أُحد:

هذا الوعد متعلق بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: 121]، وذلك يوم أحد. وهو قول مجاهد، وعكرمة، والضحاك، والزهري، وموسى بن عقبة وغيرهم. وقالوا: لم يحصل الإمداد بالخمسة الآلاف لأن المسلمين فروا يومئذ. وزاد عكرمة: ولا بالثلاثة الآلاف لقوله: ﴿بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ [آل عمران:125] فلم يصبروا بل فروا فلم يمدوا بمَلَك واحد[43].

وروى الطبري عن عكرمة، سمعه يقول: ﴿بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾، قال: يوم بدر، قال: فلم يصبروا ولم يتقوا فلم يمدوا يوم أحد، ولو مدوا لم يهزموا يومئذ. وروى الطبري عن الضحاك قوله: ﴿أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ﴾، كان هذا موعدا من الله يوم أحد عرضه على نبيه محمد أن المؤمنين إن اتقوا وصبروا أمدهم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ففر المسلمون يوم أحد وولوا مدبرين فلم يمدهم الله[44].

وقد رجح الطبري والقرطبي وابن كثير أن الإمداد كان في بدر:

قال ابن جرير الطبري في تفسيره: "غير أن في القرآن دلالة على أنهم قد أمدوا يوم بدر بألف من الملائكة وذلك قوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[الأنفال:9]، فأما في يوم أحد فالدلالة على أنهم لم يمدوا أبين منها في أنهم أمدوا، وذلك أنهم لو أمدوا لم يهزموا وينال منهم ما نيل منهم؛ فالصواب فيه من القول أن يقال كما قال تعالى ذكره"[45].

كما رجحه القرطبي في أحكام القرآن حيث قال: " وتظاهرت الروايات بأن الملائكة حضرت يوم بدر وقاتلت"[46]. ورجحه أيضا ابن كثير في تفسيره وقال: "فالظاهر أن ذلك كان يوم بدر كما هو المعروف من أن قتال الملائكة إنما كان يوم بدر، والله أعلم"[47].

وإذا أخذ بهذا القول فما وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى في قصة بدر: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَآئِكَةِ مُرْدِفِين﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيم﴾[الأنفال:10].

فالجواب كما يقول ابن كثير: " إن التنصيص على الألف ها هنا لا ينافي الثلاثة الآلاف فما فوقها لقوله (مردَفين) -بفتح الدال على قراءة نافع- بمعنى يردفهم غيرهم ويتبعهم ألوف أخر مثلهم"[48] وثمة خلاف في عدد الملائكة الذين شهدوا يوم بدر، وتجلى هذا الخلاف في خمسة أقوال:

أحدها: خمسة آلاف قاله الحسن[49]. وقال قتادة: كان هذا يوم بدر أمدهم الله بألف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف فأمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة على ما وعدهم فهذا كله يوم بدر، وقال الربيع بن أنس: أمد الله المسلمين بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف[50].

وقال سعيد بن أبي عروبة: أمد الله المسلمين يوم بدر بخمسة آلاف[51].

والثاني: أربعة آلاف، قاله الشعبي.

والثالث: ألف، قاله مجاهد.

والرابع: تسعة آلاف، ذكره الزجاج[52].

والخامس: ثمانية آلاف، ذكره بعض المفسرين[53].

وذكر أبو السعود أقوالا أخرى لم ينسبها لقائليها فقال: "اختلفوا في عدد الملائكة يومئذ فقيل خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر ألفا"[54].

وبعد أن حقق الرازي أسباب الاختلاف قال: "فهذه وجوه كلها محتملة، والله أعلم بمراده"[55].

وتوجد عدة أمور في هذه الآيات لا بد من بيانها:

1-معنى {من فورهم هذا}

أصل الفور: القصد إلى الشيء والأخذ فيه بجد، وهو من قولهم: فارت القدر تفور فورا وفورانا: إذا غلت، والفور: الغليان، وفار غضبه: إذا جاش، وفعله من فوره: أي قبل أن يسكن، والفوارة ما يفور من القدر وفي التنزيل {التَّنُّورُ} [هود:40] واختلف أهل التفسير في تحديد المراد من قوله تعالى: ﴿من فورهم هذا﴾، قيل: إن المعنى هو (من وجههم هذا)، وقال به " قتادة والحسن والربيع والسدي"[56]، وزاد القرطبي: "وعكرمة وابن زيد"[57].

وقيل: (من غضبهم)، وقال به "مجاهد والضحاك"[58]، وزاد ابن كثير: "عكرمة وأبو صالح"[59]: كانوا قد غضبوا يوم أحد ليوم بدر مما لقوا.

وقيل: (من غضبهم ووجههم)، قاله الضحاك [60].

وقيل: (من سفرهم هذا) قاله العوفي عن ابن عباس[61].

2- معنى (مسومين)

(مسوَّمين) بفتح الواو اسم مفعول، وهي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي ونافع، أي معلمين بعلامات[62]. وقال ابن كثير: "مسومين أي معلمين بالسيما"[63].

(ومسوِّمين) بكسر الواو اسم فاعل، وهي قراءة أبي عمرو وابن كثير وعاصم، فيحتمل من المعنى ما تقدم، أي قد أعلموا أنفسهم بعلامة، وأعلموا خيلهم.

ورجح الطبري[64] وغيره هذه القراءة.

وقال كثير من المفسرين: (مسومين) أي مرسلين خيلهم في الغارة. وذكر المهدوي هذا المعنى في مسومين بفتح الواو، أي أرسلهم الله تعالى على الكفار، وقاله ابن فورك أيضا.

وعلى القراءة الأولى اختلفوا في سيما الملائكة:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "كان سيما الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض وكان سيماهم أيضا في نواصي خيلهم" رواه ابن أبي حاتم[65].

وقال القرطبي: "فروي عن علي بن أبي طالب وابن عباس وغيرهما أن الملائكة اعتمّت بعمائم بيض قد أرسلوها بين أكتافهم، ذكره البيهقي عن ابن عباس وحكاه المهدوي عن الزجاج إلا جبريل فإنه كان بعمامة صفراء على مثال الزبير بن العوام، وقاله ابن إسحاق"[66]

وقال مجاهد: كانت خيلهم مجزورة الأذناب والأعراف، معلمة النواصي والأذناب بالصوف والعهن. وروي عن ابن عباس: تسومت الملائكة يوم بدر بالصوف الأبيض في نواصي الخيل وأذنابها. وقال عباد بن عبدالله بن الزبير وهشام بن عروة الكلبي: نزلت الملائكة في سيما الزبير، عليهم عمائم صفر مرخاة على أكتافهم. وقال ذلك عبدالله وعروة ابنا الزبير وقال عبدالله: كانت ملاءة صفراء اعتم بها الزبير رضي الله عنه[67].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه في هذه الآية (مسومين)، قال: بالعهن الأحمر. رواه ابن أبي حاتم[68]. وقال مجاهد: مسومين أي محدقة أعرافها معلمة نواصيها بالصوف الأبيض في أذناب الخيل[69].

3- معنى قوله تعالى: (مردفين)

متابعين المؤمنين أو بعضهم بعضا من أردفته إذا جئت بعده، أو مُتبعين بعضهم بعضا، أو أنفسهم المؤمنين من أردفته إياه فردفه.

وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال أي متبعين بمعنى أنهم كانوا مقدمة الجيش أو ساقتهم. وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وأصله مرتدفين بمعنى مترادفين فأدغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الأصل أو بالضم على الاتباع[70].

وعن مجاهد: مردفين يعني ممدين[71]. وقال الهائم المصري: مردفين أردفهم الله بغيرهم، ومردفين رادفين يقال: ردفته وأردفته إذا جئت بعده[72].

4- معنى (منزلين)

قرأ ابن عامر (منزلين) بالتشديد الزاي مفتوحة للتكثير أو للتدريج[73]. وقرأ الآخرون، ومنهم أبو حيوة، بكسر الزاي مخففا يعني منزلين النصر؛ دليله قوله تعالى: ﴿لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلاَئِكَةُ﴾ [الفرقان:21]، وقوله: ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾[التوبة:26][74].

ثانيا: الأموال

الأموال من أنواع الإمداد الحسي التي ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء:6]، والنفير من ينفر مع الرجل من قومه، وقيل: جمع نفر، وهم المجتمعون للذهاب إلى العدو[75].

والإمداد المالي له دور كبير في تجهيز الجيوش؛ ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيا في سبيل الله بخير فقد غزا"[76].

وقد أدرك المسلمون الأوائل أهمية الإمداد المالي وغيره للجيوش، ويعلم الجميع أمر تجهيز عثمان لجيش العسرة، وكان لهذا تأثير كبير، وأهمية بالغة، ولذلك نال عثمان مكانة فريدة اتضحت مما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عثمان عقب تمويله وإمداده لجيش العسرة بالأموال؛ فعن عبد الرحمن بن سمرة قال: ثم جاء عثمان رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار حين جهز جيش العسرة، ففرغها عثمان في حجر النبي صلى الله عليه وسلم، قال فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها ويقول: "ما ضر عثمان ما عمل بعد هذا اليوم" قالها مرارا[77].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزه عثمان"[78].

ومن أهم الأمثلة التي تضرب في أهمية المال في الوقت الراهن تراجع مكانة روسيا في العالم بسبب ضعف اقتصادها، رغم ما لديها من أسلحة متقدمة.

ثالثا: الأولاد

ثبت عبر التاريخ أهمية عدد المقاتلين في المعارك، بل وأهمية عدد السكان في استمرار الأمم في الوجود، وفي مقاومة الأعداء، وفي التوازن الحضاري بشكل عام.

وإدراكا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهمية زيادة عدد أفراد الأمة، فقد قال: "تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم"[79].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثم إني فرطكم على الحوض وإني مكاثر بكم الأمم فلا تقتتلنّ بعدي"[80].

وقد أدرك العرب أهمية الأولاد، ولذا كانوا يحتفلون إذا ولد لهم شاعر أو فارس. ورغم التقدم التكنولوجي الكبير في عصرنا فلا يزال دور العدد البشري في الحروب الحديثة كبيرا. ولا شك أن للتوازن السكاني بين الفلسطينيين واليهود في فلسطين دورا كبيرا في إدارة الصراع[81].

رابعا: النعاس

للنعاس أهمية كبيرة قبل الدخول في أية؛ مواجهة لأنه يخفض الشد العصبي، ويعيد للجسم نشاطه، ويجعل الذهن في حالة أصفى، ولا شك أن هذا ضروري قبل الدخول في المواجهة العسكرية. والنعاس هو أول النوم قبل أن يثقل[82].

وقد روى عبد الرزاق عن الثوري في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الأنفال:11]، عن عاصم عن أبي رزين قال: قال عبد الله بن مسعود: النعاس في الصلاة من الشيطان والنعاس في القتال أمنة من الله تعالى[83]. وعن مجاهد في قوله: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾، قال: يعني أمن من الله[84]. والأمنة والأمن سواء، وقيل: الأمنة إنما تكون مع أسباب الخوف، والأمن مع عدمه[85]. ومعنى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ﴾، أي يجعله غاشيا عليكم ومحيطا بكم[86].

والنعاس من الإمداد الإلهي الذي أمد الله به المؤمنين؛ لأنه حالة الآمن الذي لا يخاف، وكان هذا النعاس في الليلة التي كان القتال من غدها، فكان النوم عجيبا مع ما كان بين أيديهم

من الأمر المهم، ولكن الله ربط جأشهم. وعن علي رضي الله عنه قال: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد على فرس أبلق، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح. ذكره البيهقي والماوردي، وفي امتنان الله عليهم بالنوم في هذه الليلة وجهان، أحدهما: أن قواهم بالاستراحة على القتال من الغد، الثاني: أن أمّنهم بزوال الرعب من قلوبهم، كما يقال الأمن منيم، والخوف مسهر. وقيل: غشاهم في حال التقاء الصفين[87].

وقد جاء النعاس في موضع آخر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [آل عمران:154]، ففي يوم أحد تفضل الله تعالى على المؤمنين بعد هذه الغموم بالنعاس حتى نام أكثرهم، وإنما ينعس من يأمن، وأما الخائف فلا ينام[88].

خامسا: الطعام

من فضل الله تعالى أنه قد يمد وينزل على بعض عباده في أصعب الأوقات الطعام، وهذا حدث مع بني إسرائيل في التيه؛ حيث أمدهم بالمن والسلوى، فقال: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ [البقرة:57].

وفي المنِّ ثمانية أقوال ذكرها ابن الجوزي:

أحدها: أنه الذي يقع على الشجر فيأكله الناس، قاله ابن عباس والشعبي والضحاك.

والثاني: أنه الترنجبين، روي عن ابن عباس أيضا، وهو قول مقاتل.

والثالث: أنه صمغة، قاله مجاهد[89].

والرابع: أنه يشبه الرُّبِّ الْغَلِيظِ، قاله عكرمة.

والخامس: أنه شراب، قاله أبو العالية والربيع بن أنس.

والسادس: أنه خُبْزُ الرُّقاقِ مِثْلُ الذُّرَةِ أوْ مِثْلُ النَّقِيِّ، قاله وهب.

والسابع: أنه عسل، قاله ابن زيد.

والثامن: أنه الزنجبيل، قاله السدي[90].

والأكثرون على أن المن هو الترنجبين[91].

وفي السلوى قولان:

أحدهما: أنه طائر، قال مجاهد: السلوى الطير[92]، وقال بعضهم: يشبه السماني، وقال بعضهم: هو السماني.

والثاني: أنه العسل ذكره ابن الأنباري وأنشد:

وقاسمها بالله جهدا لأنتم ألذ من السلوى إذا ما نشورها[93]

وكان المن كل ليلة يقع على أشجارهم مثل الثلج، لكل إنسان منهم صاع، فقالوا: يا موسى قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك أن يطعمنا اللحم؛ فأنزل الله تعالى عليهم السلوى، وهو على الأرجح طائر يشبه السماني، وقيل هو السماني بعينه، بعث الله سحابة فمطرت السمان في عرض ميل وطول رمح في السماء بعضه على بعض[94].

والإمداد بالطير من النعم الإلهية لخفة حمل لحم الطير، فضلا عن القيمة الغذائية التي يتمتع بها. وينطوي الإمداد بالمن والسلوى على إظهار قدرة الله في التموين حيث يمد بأشهى الطعام في أصعب الأوقات.

والإمداد بالطعام ليس مقصورا على الدنيا فقط، بل قد يكون في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُون﴾ [الطور:22]

فسّرها البيضاوي على أنها تعني: وزدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون من أنواع التنعم[95]. وقريب منه ما ذكره الشوكاني فقال: أي زدناهم على ما كان لهم من النعيم بفاكهة متنوعة ولحم مما تشتهيه أنفسهم ويستطيبونه[96].

سادسا: الريح

الريح من أنواع الإمداد الحسي، وهي بالغة الأهمية في حسم المعارك، وهذا ما أمد الله تعالى به المؤمنين في غزوة الخندق، فعندما جاءت الأعداء من قبل المشرق وهم قريظة والنضير،

وجاءت قريش من ناحية مكة، وعندئذ زاغت الأبصار، أي مالت وشخصت وتحيرت، هنا أرسل الله الريح والملائكة لتحسم الحرب لصالح المؤمنين، وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة[97].

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَا بَصِيرًا﴾ [الأحزاب:9]

فعندما جاءت المؤمنين جنودُ الأحزاب وهم قريش وغطفان وقريظة والنضير، وحاصروا المسلمين أيام الخندق، أرسل الله عليهم ريحا، وهي الصبا، كفأت قدورهم وقلعت فساطيطهم، كما أرسل جنودا لم يرها المؤمنون، وهم الملائكة[98]. ولم تقاتل الملائكة يومئذ... وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول: يا بني فلان هلم إلي فإذا اجتمعوا عنده قال: النجاء النجاء؛ لما بعث الله عليهم من الرعب فانهزموا من غير قتال[99].

وقال الآلوسي: "المراد بالذين كفروا الأحزاب على ما روى غير واحد عن مجاهد، والظاهر أنه عنى المشركين واليهود الذين تحزبوا، وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي أنه فسر ذلك بأبي سفيان وأصحابه، ولعله الأولى، وعلى القولين المراد رد الله الذين كفروا من محل اجتماعهم حول المدينة وتحزبهم إلى مساكنهم"[100].

والدليل على أن الريح التي أرسلت عليهم هي الصبا[101]، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ثم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور"[102].

ولا شك أن في هذا الإمداد الإلهي إظهار لعظم النعمة الإلهية وإبانة خطرها الجليل ببيان وصولها إليهم عند غاية احتياجهم إليها[103].

سابعا: (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى)

يتضح الإمداد الإلهي في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى﴾ [الأنفال:17].

جاء هذا القول الإلهي "في شأن القبضة من التراب التي حصب بها وجوه الكافرين يوم بدر، حين خرج من العريش بعد دعائه وتضرعه واستكانته فرماهم بها وقال: "شاهت الوجوه"،

ثم أمر أصحابه أن يصدقوا الحملة إثرها، ففعلوا فأوصل الله تلك الحصباء إلى أعين المشركين فلم يبق أحد منهم إلا ناله منها ما شغله عن حاله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى﴾ [الأنفال:17] أي هو الذي بلغ ذلك إليهم وكبتهم بها لا أنت"[104].

عن حكيم بن حزام قال: ثم سمعنا صوتا من السماء وقع إلى الأرض هنا نقص حصاة في طست ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الحصاة فانهزمنا[105].

وعن حكيم بن حزام أيضا قال: ثم لما كان يوم بدر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ كفا من الحصباء فاستقبلنا به فرمانا بها وقال: "شاهت الوجوه"، فانهزمنا فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى﴾[106].

وقد فسرها ابن كثير على أنها تدخل في نطاق خلق الله تعالى لأفعال العباد، فقال: " إنه خالق أفعال العباد وأنه المحمود على جميع ما صدر منهم من خير لأنه هو الذي وفقهم لذلك وأعانهم ولهذا قال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال:17]، أي ليس بحولكم وقوتكم قتلتم أعداءكم مع كثرة عددهم وقلة عددكم، بل هو الذي أظفركم عليهم، كما قال: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران:123]

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة:25]، يعلم تبارك وتعالى أن النصر ليس على كثرة العدد ولا بلبس اللامة والعدد وإنما النصر من عنده تعالى كما قال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[البقرة:249]"[107].

ومثله قوله تعالى:﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال:17]، قال القرطبي: "أي يوم بدر، روي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صدروا عن بدر ذكر كل واحد منهم ما فعل: قتلت كذا فعلت كذا؛ فجاء من ذلك تفاخر ونحو ذلك، فنزلت الآية إعلاما بأن الله تعالى هو المميت والمقدر لجميع الأشياء وأن العبد إنما يشارك بتكسبه وقصده. وهذه الآية ترد على من يقول بأن أفعال العباد خلق لهم، فقيل المعنى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم بسوقهم إليكم حتى

أمكنكم منهم، وقيل: ولكن الله قتلهم بالملائكة الذين أمدكم بهم، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾، مثله ﴿وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى﴾..."[108]

ويذهب ابن تيمية إلى أن هذه الآية تدخل في نطاق خوارق العادات، وأنها معجزة فقال: "إن الله سبحانه خرق العادة في ذلك فصارت رؤوس المشركين تطير قبل وصول السلاح إليها بالإشارة وصارت الجريدة تصير سيفا يقتل به، وكذلك رمية رسول الله أصابت من لم يكن في قدرته أن يصيبه، فكان ما وجد من القتل وإصابة الرمية خارجا عن قدرته المعهودة فسلبوه لانتفاء قدرتهم عليه، وهذا أصح وبه يصح الجمع بين النفي والإثبات، {وَمَا رَمَيْتَ} أي: ما أصبت {إِذْ رَمَيْتَ إذ رميت} إذا طرحت، {وَلَـكِنَّ اللّـهَ رَمَى} أصاب، وهكذا كل ما فعله الله من الأفعال الخارجة عن القدرة المعتادة بسبب ضعيف كإنباع الماء وغيره من خوارق العادات أو الأمور الخارجة عن قدرة الفاعل"[109].

وسواء كان المعنى ما ذكره ابن كثير والقرطبي أم ما ذكره شيخ الإسلام، فالإمداد الإلهي واضح.

ثامنا: الصواعق

الصواعق: جمع صاعقة، وهي العذاب المهلك ينزل من البرق فيحرق من يصيبه، فيصيب بها من يشاء[110]. وقال الطبري: "معنى الصاعقة كل ما أفسد الشيء وغيره عن هيئته"[111].

والصواعق من الأسلحة الفتاكة التي يرسلها الله وقت اللزوم على من يشاء فيقتله عقابا على كفره أو كيده ومكره، وقد أيد الله بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أكثر من حادثة ذكرها الرواة والمفسرون في أسباب نزول قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاء﴾ [الرعد:13].

فعن أنس: ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا مرة إلى رجل من فراعنة العرب، فقال: "اذهب فادعه لي"، فقال: يا رسول الله إنه أعتى من ذلك. قال: "اذهب فادعه لي"، قال: فذهب إليه فقال: يدعوك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لرسول رسول الله: وما الله

أمن ذهب هو أم من فضة هو؟ أم من نحاس هو ؟ قال: فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال: يا رسول الله قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك، قال لي كذا وكذا، فقال ارجع إليه الثانية، فقال له مثلها، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله: قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك، قال: ارجع إليه فادعه فرجع إليه الثالثة، قال فأعاد عليه ذلك الكلام، فبينما هو يكلمه إذ بعث الله سحابة حيال رأسه فرعدت، فوقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه، فأنزل الله: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاء﴾، الآية[112].

و ذكر الماوردي عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب ومجاهد: نزلت في يهودي قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أخبرني من أي شيء ربك أمن لؤلؤ أم من ياقوت ؟ فجاءت صاعقة فأحرقته[113].

وقال ابن جريج: كان سبب نزولها قصة أربد وعامر بن الطفيل سألا النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل الأمر بعده لعامر بن الطفيل ويدخلا في دينه، فأبى عليه السلام، ثم تآمرا في قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر لأربد: أنا أشغله لك بالحديث واضربه أنت بالسيف، فجعل عامر يحدثه وأربد لا يصنع شيئا، فلما انصرفا قال له عامر: والله يا أربد لا خفتك أبدا ولقد كنت أخافك قبل هذا. فقال له أربد: والله لقد أردت إخراج السيف فما قدرت على ذلك ولقد كنت أراك بيني وبينه، أفأضربك؟ فمضيا للحشد على النبي صلى الله عليه وسلم فأصابت أربد صاعقة فقتلته[114].

وقد توعد الله الكافرين بصاعقة إذا أعرضوا عن الإيمان فقال مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُود﴾[فُصِّلَت:13]، أي: فإن أعرض هؤلاء المشركون عن هذه الحجة التي بينتها لهم يا محمد ونبهتهم عليها فلم يؤمنوا بها ولم يقروا أن فاعل ذلك هو الله الذي لا إله غيره فقل لهم أنذرتكم أيها الناس صاعقة تهلككم مثل صاعقة عاد[115].

وقد سبق بيان أن الصاعقة هي العذاب المهلك ينزل من البرق فيحرق من يصيبه فيصيب بها من يشاء[116]. وقال الطبري: "معنى الصاعقة كل ما أفسد الشيء وغيره عن هيئته"[117]. لكن

قيل في هذا الموضع: عنى بها وقيعة من الله وعذاب، فقال البيضاوي: "حذرهم أن يصيبهم عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود"[118].

المطلب الثاني: الإمداد المعنوي

وعد الله تعالى عباده المؤمنين المجاهدين بالإمداد، وأمدهم، وقد تقدم الحديث عن الإمداد الحسي، وفي هذا المطلب تناولت الإمداد المعنوي، وهو أنواع أيضا وهو كما يأتي:

أولا: قذف الرعب في قلوب العدو

قذف الرعب في قلوب العدو من الإمداد المعنوي الذي يدعم الله به المؤمنين في معاركهم، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾[الأحزاب:26]. فقد أنزل الله الذين ظاهروا الكفار من أهل الكتاب، أي قريظة، من حصونهم، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصرهم واشتد ذلك عليهم حتى نزلوا على حكمه وذلك قوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾[الحشر: 2][119]، أي أثبت فيها الخوف الشديد الذي يرعبها أو يملؤها[120] حتى سلموا أنفسهم للقتل، وقتل المؤمنون فريقا منهم وهم المقاتلة، وأسروا فريقا منهم أي النساء والذراري.

وقد اختلف في عدد المقتولين والمأسورين فقيل: كان المقتولون من ستمائة إلى سبعمائة وقيل: ستمائة وقيل: سبعمائة وقيل: ثمانمائة وقيل: تسعمائة وكان المأسورون سبعمائة وقيل: سبعمائة وخمسين وقيل: تسعمائة[121].

وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "نصرت بالرعب مسيرة شهر"[122]، فكيف لا ينصر به مسيرة ميل من المدينة إلى محلة بني النضير وهذه خصيصة لمحمد صلى الله عليه وسلم دون غيره[123].

ثانيا: الخداع البصري

الخداع البصري قد يكون توفيقا وقد يكون تضليلا، وهو خاص بالمؤمنين إذا كان من النوع الأول، وخاص بالكافرين إذا كان من النوع الثاني؛ فالله قد يصور للمؤمنين قلة الأعداء مع أنهم

من الكثرة بمكان، وذلك لكي يشجعهم على القتال، وينزع الخوف من قلوبهم، ويحول بينهم بين التردد في القتال ويمنعهم من الاختلاف حول دخول المعركة.

قال تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور﴾[الأنفال:43].

والمراد كما يقول الطبري: "وإن الله يا محمد سميع لما يقول أصحابك عليم بما يضمرونه إذ يريك الله عدوك وعدوهم في منامك قليلا، يقول يريكهم في نومك قليلا فتخبرهم بذلك حتى قويت قلوبهم، واجترءوا على حرب عدوهم، ولو أراك ربك عدوك وعدوهم كثيرا لفشل أصحابك فجبنوا وخافوا، ولم يقدروا على حرب القوم، ولتنازعوا في ذلك، ولكن الله سلمهم من ذلك بما أراك في منامك من الرؤيا، إنه عليم بما تخفيه الصدور، لا يخفى عليه شيء مما تضمره القلوب"[124].

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك فكان تثبيتا لهم، وكذا قال ابن إسحاق وغير واحد. وحكى ابن جرير عن بعضهم أنه رآهم بعينه التي ينام بها. وقد روى ابن أبي حاتم عن الحسن في قوله: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ﴾، قال: بعينك. وقال ابن كثير: "هذا القول غريب، وقد صرح بالمنام هاهنا، فلا حاجة إلى التأويل الذي لا دليل عليه"[125].

وقوله: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ [الأنفال:44]، وهذا أيضا -كما ذكر ابن كثير- من لطفه تعالى بهم إذ أراهم إياهم قليلا في رأي العين فيجرؤهم عليهم ويطمعهم فيهم. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبي: تراهم سبعين ؟ قال: لا بل هم مئة. حتى أخذنا رجلا منهم فسألناه فقال: كنا ألفا. ومعنى هذا أنه تعالى أغرى كُلًّا من الفريقين بالآخر وقلله في عينه ليطمع فيه وذلك عند المواجهة، فلما التحم القتال، وأيد الله المؤمنين بألف من الملائكة مردفين، بقي حزب الكفار يرى حزب الإيمان ضعفيه، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاء إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الأَبْصَار﴾ [آل عمران:13]. وهذا هو الجمع بين هاتين الآيتين فإن كُلًّا منهما حق وصدق[126].

أما في حالة الكافرين فإن الخداع البصري يكون للتضليل والخداع العسكري، يقول تعالى: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال:44].

فالله يقلل عدد المؤمنين في أعين الكافرين لئلا يستعدوا لهم لما أراد الله جل وعز من ظفر المسلمين بهم[127]، ولكي يقدموا ولا يرجعوا عن قتالهم، وهذا قبل التحام الحرب، فلما التحم أراهم إياهم مثليهم كما في آل عمران[128].

ومن أنواع الخداع البصري تغشية عيون الكافرين فلا يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يقدرون على أذيته، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ [يس:9].

قال مقاتل: لما عاد أبو جهل إلى أصحابه، ولم يصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسقط الحجر من يده، أخذ الحجر رجل آخر من بني مخزوم وقال: أقتله بهذا الحجر، فلما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم طمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم، فرجع إلى أصحابه فلم يبصرهم حتى نادوه، فهذا معنى الآية. وقال محمد بن إسحاق في روايته: جلس عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل وأمية بن خلف يراصدون النبي صلى الله عليه وسلم ليبلغوا من أذاه، فخرج عليهم عليه السلام وهو يقرأ يس وفي يده تراب فرماهم به وقرأ: ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ فأطرقوا حتى مر عليهم عليه السلام[129].

ثالثا: الإضلال الفكري والعقدي

يعتبر الإضلال الفكري والعقدي إمدادا معنويا، حيث يضل الله الظالمين والكافرين؛ فلا يستطيعون الثبات في مواقف الفتن، يقول تعالى:﴿وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ﴾ [إبراهيم:27] الذين ظلموا أنفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون إلى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن[130]. فيخلق الله فيهم الضلال عن الحق الذي ثبت المؤمنين عليه حسب إرادتهم واختيارهم، والمراد بهم الكفرة، بدليل ما يقابله، ووصفهم بالظلم إما باعتبار وضعهم للشيء في غير موضعه وإما باعتبار ظلمهم لأنفسهم حيث بدلوا فطرة الله التي فطر الناس عليها، فلم يهتدوا إلى القول الثابت، أو كل

من ظلم نفسه بالاقتصار على التقليد والإعراض عن البينات الواضحة فلا يثبت في موقف الفتن ولا يهتدي إلى الحق[131].

ومن يضله الله لا يستطيع معرفة طريق الحق، يقول تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ﴾[الشورى:46]، أي لا سبيل له إلى الهدى أو النجاة [132]، ومن ثم لا يجد طريقا يصل به إلى الحق في الدنيا والجنة في الآخرة لأنه قد سدت عليه طريق النجاة[133].

وكما يضل الله الظالمين والكافرين، يضل أيضا المنافقين، فيظلون مترددين متحيرين، يقول تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاء وَلاَ إِلَى هَـؤُلاء﴾[النساء:143]. يعني جل ثناؤه بقوله: {مُّذَبْذَبِينَ} مترددين، وأصل التذبذب التحرك والاضطراب، وعنى بذلك أن المنافقين متحيرون في دينهم لا يرجعون إلى اعتقاد شيء على صحة، فهم لا مع المؤمنين على بصيرة ولا مع المشركين على جهالة ولكنهم حيارى بين ذلك[134].

المطلب الثالث: الإمداد المعاكس

قد يكون الإمداد معاكسا وذلك عندما يمد الله الكافرين بالشياطين، وهذا يتضح من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم:83]

وقد ورد في معناها تفسيرات متعددة، فذكر الهائم المصري أن {تَؤُزُّهُمْ أَزًّا } أي تزعجهم إزعاجا[135]، وقال ابن عيينة: {تَؤُزُّهُمْ أَزًّا } أي تزعجهم إلى المعاصي إزعاجا[136]. وقال ابن عباس: تغويهم إغواء، وقال العوفي عنه: تحرضهم على محمد وأصحابه. وقال قتادة: تزعجهم إزعاجا إلى معاصي الله. وقال سفيان الثوري: تغريهم إغراء وتستعجلهم استعجالا. وقال السدي: تطغيهم طغيانا. وقال عبد الرحمن بن زيد: هذا كقوله: تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[الزُّخرُف:36][137].

وقال القرطبي: أي سلطناهم عليهم بالإغواء وذلك حين قال لإبليس: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء:64]

وقيل: أرسلنا، أي خلينا، يقال: أرسلت البعير أي خليته، أي خلينا الشياطين وإياهم ولم نعصمهم من القبول منهم[138].

المبحث الرابع: خصائص الإمداد، وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: التدرج

من خصائص الإمداد أنه لا يعطى كله دفعة واحدة في كثير من الأحيان، ويظهر هذا في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِين {9} وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيم﴾ [الأنفال:10]

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون {133} إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِين{134} بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِين{135}وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيم﴾ [آل عمران:126].

فهنا الإمداد يأتي على مراحل: ألف ثم ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف، على تفسير من قال بأن آيات آل عمران جاءت خاصة ببدر.

وكذلك الإمداد بالأموال والبنين يكون بالتدريج، فالأموال غالبا لا تأتي دفعة واحدة، والبنون بطبيعة الحال لا بد فيهم من التدرج، قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء:6] وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِين﴾ [المؤمنون:55] ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُون﴾ [المؤمنون:56]

وقال جل وعلا: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح:12]

والإمداد بالطعام كذلك يأتي بالتدريج حسب الحاجة، قال تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُون﴾ [الطور:22]

ويتضح التدرج في تفسير البيضاوي للآية على أنها تعني: وزدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون من أنواع التنعم[139].

وقد أمد الله بني إسرائيل بالمن والسلوى كل ليلة، أي أن الإمداد ليس دفعة واحدة وإنما متدرج في الزمان، فقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾[طه: 80].

المطلب الثاني: تنوع الإمداد

يظهر من القرآن الكريم تنوع الإمداد في وقت واحد، ففي غزوة بدر تعددت أصناف الإمداد، وهي:

1-الإمداد بالملائكة

فعندما طلب المؤمنون من الله الغوث بالنصر على الكفار استجاب لهم بأنه ممدهم بألف من الملائكة مردفين متتابعين يردف بعضهم بعضا، وعدهم بها أولا ثم صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة، كما في آل عمران[140].

2-النعاس

(إذ يغشيكم النعاس أمنة منه)[141]، أي: أمنا مما حصل لكم من الخوف منه[142]. قال الشوكاني: "هذه الآية تتضمن ذكر نعمة أنعم الله بها عليهم وهي أنهم مع خوفهم من لقاء العدو والمهابة لجانبه سكن الله قلوبهم وأمنها حتى ناموا آمنين غير خائفين وكان هذا النوم في الليلة التي كان القتال في غدها، قيل وفي امتنان الله عليهم بالنوم في هذه الليلة وجهان: أحدهما أنه قواهم بالاستراحة على القتال من الغد، والثاني أنه أمنهم بزوال الرعب من قلوبهم، وقيل إن النوم غشيهم في حال التقاء الصفين..."[143].

3- إنزال المطر

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾ [الأنفال:11] من الأحداث والجنابات، ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَام﴾

[الأنفال:11] أي وسْوَسَته إلَيْكُمْ بِأَنَّكُمْ لَوْ كُنْتُمْ عَلى الحَقّ ما كُنْتُمْ ظَمْأى مُحَدِّثِينَ والمُشْرِكُونَ عَلى الماء[144]. والذي في سيرة ابن إسحاق وغيره أن المؤمنين هم الذين سبقوا إلى ماء بدر وأنه منع قريشا من السبق إلى الماء مطر عظيم ولم يصب المسلمين منه إلا ما شد لهم دهس الوادي وأعانهم على المسير، ومعنى ليطهركم به: ليرفع عنكم الأحداث ويذهب عنكم رجز الشيطان، أي وسوسته لكم بما كان قد سبق إلى قلوبهم من الخواطر التي هي منه، من الخوف والفشل حتى كانت حالهم حال من يساق إلى الموت[145].

4-الربط على القلوب

قال تعالى: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ [الأنفال:11]. أي يحبس على قلوبكم باليقين والصبر[146]، فيجعلها صابرة قوية ثابتة في مواطن الحرب[147].

5-التثبيت

يقول تعالى: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَام﴾[الأنفال:11]، راجع إلى الماء الذى أنزله الله، أي يثبت بهذا الماء الذى أنزله عليكم عند الحاجة إليه أقدامكم في مواطن القتال... ومعنى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ [الأنفال:12]، بشروهم بالنصر أو ثبتوهم على القتال بالحضور معهم وتكثير سوادهم وهذا أمر منه سبحانه للملائكة الذين أوحى إليهم بأنه معهم[148].

6-إلقاء الرعب في قلوب الكافرين

﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ﴾ [الأنفال:12]، الخوف[149]. فقد كان إلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا نوعا من أنواع المد التي أمد الله تعالى بها المؤمنين؛ حيث جعل الكافرين في حالة خوف شديد من مواجهة المؤمنين؛ الأمر الذي أضعفهم أثناء القتال.

7- قتل الله للكافرين

يقول تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ﴾[الأنفال:17]، فإن "الله سبحانه خرق العادة في ذلك فصارت رؤوس المشركين تطير قبل وصول السلاح إليها بالإشارة وصارت الجريدة تصير سيفا يقتل به"[150].

8-رمي الله للكافرين

فقد أوصل الله الحصباء إلى أعين المشركين فلم يبق أحد منهم إلا ناله منها ما شغله عن حاله، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى﴾[الأنفال:17]، فقد جاء هذا القول الإلهي "في شأن القبضة من التراب التي حصب بها وجوه الكافرين يوم بدر حين خرج من العريش بعد دعائه وتضرعه واستكانته فرماهم بها وقال: " شاهت الوجوه "، ثم أمر أصحابه أن يصدقوا الحملة إثرها ففعلوا فأوصل الله تلك الحصباء إلى أعين المشركين فلم يبق أحد منهم إلا ناله منها ما شغله عن حاله ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى﴾[الأنفال:17]، أي هو الذي بلغ ذلك إليهم وكبتهم بها لا أنت"[151].

إذن فالإمداد يتنوع لسد حاجات الجيش الإسلامي سواء كانت حاجات معنوية أم مادية.

المطلب الثالث: مناسبة الموقف

يراعي الله تعالى في إمداده مناسبة الإمداد للموقف، وقد اتضح هذا من تنوع الإمداد فكل منها يناسب موقفا، فإذا كانت الحاجة معنوية جاء الإمداد معنويا، كالربط على القلوب وإلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا على سبيل المثال، وإذا كان عدد المؤمنين قليلا كان الإمداد بالملائكة، وقد يأتي بالخداع البصري.. إلخ. وإذا كان المؤمنون متعَبين خائفين يأتي الإمداد بالنعاس المؤقت. وإذا كان الموقف يتطلب معونة إلهية مباشرة يأتي قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى﴾ [الأنفال:17][152].

وإذا كان الموقف ليس موقفا حربيا ولكنه مؤامرة يأتي الإمداد بتغشية العيون.

المبحث الخامس: شروط الإمداد

المطلب الأول: الصبر

الصبر من شروط الإمداد بنص القرآن الكريم؛ قال تعالى: ﴿بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِين﴾ [آل عمران:125].

فقوله تعالى: ﴿بَلَى إِن تَصْبِرُواْ﴾ يعني تصبروا على مصابرة عدوكم[153]. ومن الظاهر في هذه الآية الكريمة اشتراط الصبر كأحد شروط الإمداد، والصبر مفتاح الفرج، وسبيل للنصر، وسبيل أيضا لكثير من الخيرات الأخرى ومنها الإمامة كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِين﴾[الأنبياء: 73]، فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين... وقال تعالى: ﴿بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾، فالصبر بدون الإيمان والتقوى بمنزلة قوة البدن الخالي من الإيمان والتقوى، وعلى حسب اليقين بالمشروع يكون الصبر على المقدور.

وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاَ يُوقِنُون﴾[الروم:60]، أمره أن يصبر ولا يتشبه بالذين لا يقين عندهم في عدم الصبر. فإنهم لعدم يقينهم عُدم صبرهم، وخفوا واستخفوا قومهم ولو حصل لهم اليقين والحق لصبروا وما خفوا ولا استخفوا فمن قل يقينه قل صبره ومن قل صبره خف واستخف، فالموقن الصابر رزين؛ لأنه ذو لب وعقل، ومن لا يقين له ولا صبر عنده خفيف طائش تلعب به الأهواء والشهوات كما تلعب الرياح بالشيء الخفيف[154].

المطلب الثاني: التقوى

والشرط الثاني للإمداد هو التقوى، والتقوى معناها هنا إطاعة أمر الله تعالى؛ فقوله: ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ أي تطيعوا أمري[155].

: ﴿بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِين﴾ [آل عمران:125].

وإذا كان الصبر هو الشرط الأول فإن التقوى هي الشرط الثاني، وأي منهما لا يكفي وحده لنوال الإمداد... قال تعالى: ﴿بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾، يقول ابن القيم: "فالصبر بدون الإيمان والتقوى بمنزلة قوة البدن الخالي عن الإيمان والتقوى"[156].

المطلب الثالث: الدعاء والاستغاثة

الدعاء والاستغاثة بالله تعالى من شروط الإمداد، فقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه يوم بدر، واستغاث به هو والمؤمنون، فاستجاب الله له ولهم؛ فعن عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: "اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتِ ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض"، فما زال يهتف بربه مادًّا يديه مستقبلا القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك؛ فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِين﴾[الأنفال:9]، فأمده الله بالملائكة، قال أبو زميل: فحدثني ابن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيا فنظر إليه فإذا هو قد خطم كلاهما وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة"، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين[157].

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِين{9} وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيم﴾ [الأنفال:10] يدل هذا القول الإلهي على أن الإمداد بألف من الملائكة مردفين جاء استجابة لدعاء واستغاثة الرسول والمؤمنين بالله تعالى. فالله تعالى استجاب للمؤمنين بدعائهم وبدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظروا إلى كثرة عدوهم وقلة عددهم.

وروى الطبري عن السدي قال: أقبل النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله ويستغيثه ويستنصره فأنزل الله عليه الملائكة[158].

وفي قوله: ﴿تستغيثون﴾ قولان:

أحدهما: تستنصرون.

والثاني: تستجيرون.

والفرق بينهما أن المستنصر يطلب الظفر، والمستجير يطلب الخلاص.

وفي المستغيثين قولان:

أحدهما: أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون، قاله الزهري.

والثاني: أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قاله السدي[159].

وصيغة الاستقبال في {تستغيثون} لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة، وفي رأي آخر: متعلق بمضمر مستأنف أي اذكروا وقت استغاثتكم، وذلك أنهم لما علموا أنه لا بد من القتال جعلوا يدعون الله تعالى قائلين: أي رب انصرنا على عدوك، يا غياث المستغيثين أغثنا. وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى أصحابه وهم ثلاثمائة وبضعة عشر، فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو...[160].

وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه على أشخاص محددين ثبت عداؤهم المطلق للحق وبالغوا في أذية المسلمين، فاستجاب له وأمده بما ينصره على أعداء الإسلام؛ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ثم استقبل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة فدعا على نفر من قريش على: شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأبي جهل بن هشام، فأشهد بالله لقد رأيتهم صرعى قد غيرتهم الشمس وكان يوما حارا[161].

وعن عبد الله قال: ثم بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة، وجمع قريش في مجالسهم إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي؟ أيكم يقوم إلى جزور آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه؟ فانبعث

أشقاهم، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا، فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك، فانطلق منطلق إلى فاطمة عليها السلام وهي جويرية، فأقبلت تسعى وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال: "اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش"، ثم سمى: "اللهم عليك بعمرو بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمارة بن الوليد"، قال عبد الله: فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر[162].

وكما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أناس فاستجاب الله تعالى له، دعا لأناس فاستجاب الله تعالى له، وكان في هذه الاستجابة إمداد للإسلام برجال أقوياء، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب" قال: وكان أحبهما إليه عمر[163].

المطلب الرابع: الاستغفار

الاستغفار من أسباب الإمداد بالرزق والقوة، قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾[هود:52]، يخبر الله -كما ذكر الطبري - عن قول هود لقومه: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾، أي آمنوا به حتى يغفر لكم ذنوبكم. والاستغفار هو الإيمان بالله في هذا الموضع؛ لأن هودا صلى الله عليه وسلم إنما دعا قومه إلى توحيد الله ليغفر لهم ذنوبهم. وقوله: ﴿ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ﴾، أي ثم توبوا إلى الله من سالف ذنوبكم وعبادتكم غيره بعد الإيمان به، ﴿يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح:11] أي فإنكم إن آمنتم بالله وتبتم من كفركم به أرسل قطر السماء عليكم يدر لكم الغيث في وقت حاجتكم إليه وتحيا بلادكم من الجدب والقحط...[164].

وقال ابن زيد في قوله: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِين﴾ [هود:52]، قال: جعل لهم قوة فلو أنهم أطاعوه زادهم قوة إلى قوتهم[165]. وإنما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لأنهم كانوا أصحاب زروع وعمارات، وقيل: حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم ثلاثين سنة، فوعدهم هود عليه السلام على الإيمان والتوبة بكثرة الأمطار وتضاعف القوة بالتناسل[166].

الخاتمة والنتائج:

أولا: ألفاظ المد والمدد والإمداد وردت في القرآن الكريم كثيرا، وقد تجاوزت خمس عشرة آية بتصاريفها المتعدد.

ثانيا: هناك فرق بين الإمداد والتأييد، حيث إن الإمداد يكون في حالة الحرب والمواجهة، ويكون التأييد في حالة الدعوة للمشركين دون المواجهة، وهما متقاربان.

ثالثا: واتضح الفرق بين الإمداد والمد أن المد يكون في الخير، والإمداد يكون في الشر، وذلك في الغالب، وقد ورد ما يخرم هذه القاعدة لكنه في النزر اليسير، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾[لقمان:27]، فإن المد هنا غير المد الذي نتحدث عنه، فهو من قولهم: مدَّه نهر آخر، وليس هو مما ذكرناه من الإمداد والمد المحبوب والمكروه، والله أعلم.

رابعا: جاء مفرد المد في القرآن الكريم على أنواع ثلاثة؛ المد في الطغيان، والمد في الغي، والمد في الضلالة.

خامسا: أحصيت للإمداد في القرآن الكريم ثمانية أنواع، منها: الإمداد بالملائكة، والإمداد بالمال والإمداد بالبنين، وغيرها.

سادسا: الإمداد يكون حسيا ومعنويا، فالحسي ما سبق، والمعنوي يكون بقذف الرعب، والخداع البصري، ونحوه.

سابعا: للإمداد والنصر شروط، منها: الصبر، والثبات، وطاعة الأمير، وذكر الله، وعدم التنازع.

الهوامش والإحالات:

(1) الأخطل، ديوانه: 361.

(2) ابن منظور، لسان العرب: 398/3.

(3) نفسه: 396/3.

(4) وهي قراءة الجمهور.

(5) ابن منظور، لسان العرب: 398/3.

(6) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط: 892/2.

(7) ابن منظور، لسان العرب: 3/ 397

(8) الهائم المصري، التبيان في تفسير غريب القرآن: 153/1.

(9) الطبري، جامع البيان: 137/10.

(10) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير: 441/3.

(11) أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: 66/4.

(12) نفسه: 66،67/4.

(13) الشوكاني، فتح القدير: 362/2.

(14) البيضاوي، أنوار التنزيل: 146/3.

(15) الطبري، جامع البيان: 35/10.

(16) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 42/8.

(17) البغوي، معالم التنزيل: 348/1.

(18) نفسه: 52/1.

(19) ابن منظور، لسان العرب: 3 / 453.

(20) الشوكاني، فتح القدير: 44/1.

(21) الآلوسي، روح المعاني: 159/1.

(22) ابن منظور، لسان العرب: 397/3.

(23) الشوكاني، فتح القدير: 45/1.

(24) الآلوسي، روح المعاني: 159/1.

(25) نفسه: 160/1.

(26) نفسه: 149/9.

(27) نفسه، الصفحة نفسها.

(28) السيوطي، تفسير الجلالين: 404/1.

(29) ابن الجوزي، زاد المسير: 5 / 259.

(30) النسفي، تفسير النسفي: 45/3.

(31) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 2/ 863.

(32) رواه مسلم في صحيحه: مسلم، صحيح مسلم: 4/ 1917، حديث رقم (2470)، كتاب فضائل الصحابة، 25 باب من فضائل أبي دجانة سماك بن خرشة رضي الله عنه.

(33) الطبري، جامع البيان: 9/ 198.

(34) رواه: ابن أبي حاتم، تفسير ابن حاتم: 520/2. الطبري، جامع البيان: 76/4. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 93/2.

(35) الطبري، جامع البيان: 4/ 76.

(36) الطبري، جامع البيان: 4 / 77. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 4 / 125.

(37) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: 4/ 56.

(38) الطبري، جامع البيان: 4 / 77، 78. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 4 / 125.

(39) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2 / 93.

(40) كل من قال بأن عدد الملائكة الذين أمد الله بهم المسلمين ألف ملك يرون أن هذا كان في غزوة بدر، وأن المسلمين في أحد لو أمدوا لما هزموا. وممن قال به عكرمة والضحاك. ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 4 / 125.

(41) الزَّميع: الشجاع المِقدام الذي يزمع الأمر ثم لا ينثني عنه، وهو أيضا: الذي إذا هم بأمر مضى فيه... ورجل زميع الرأي: جيده، ابن منظور، لسان العرب: مادة (زمع).

(42) الطبري، جامع البيان: 4/ 78.

(43) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/ 93، 94.

(44) الطبري، جامع البيان: 4 / 78.

(45) المصدر نفسه: 4 / 79، 80.

(46) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 4 / 124.

(47) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2 / 93.

(48) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/ 402.

(49) ابن الجوزي، زاد المسير: 1/ 453.

(50) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2 / 93..

(51) نفسه، الصفحة نفسها.

(52) ابن الجوزي، زاد المسير: 1/ 453.

(53) نفسه: 1/ 454.

(54) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/ 56.

(55) الرازي، مفاتيح الغيب: 124/4.

(56) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/ 93.

(57) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 4/ 126.

(58) نفسه: 4 / 126.

(59) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2 / 93.

(60) نفسه، الصفحة نفسها.

(61) نفسه، الصفحة نفسها.

(62) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 4 / 126.

(63) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2 / 93.

(64) الطبري، جامع البيان: 4 / 82، حيث قال: " وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ بكسر الواو لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم... بأن الملائكة هي التي سومت أنفسها من غير إضافة تسويمها إلى الله عز وجل، أو إلى غيره من خلقه".

(65) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/ 94.

(66) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 4/ 126.

(67) نفسه، الصفحة نفسها..

(68) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/ 95.

(69) نفسه، الصفحة نفسها..

(70) لمزيد من التفاصيل ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 370،371/7.

(71) مجاهد، تفسير الإمام مجاهد: 258/1.

(72) ابن الهائم المصري، التبيان في تفسير غريب القرآن: 217/1.

(73) البغوي، معالم التنزيل: 1/ 348. البيضاوي، أنوار التنزيل: 2/ 88. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 4 / 125.

(74) البغوي، معالم التنزيل: 1/ 348. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 4 / 125.

(75) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 433.

(76) رواه البخاري: البخاري، الجامع الصحيح المختصر: 1045/3، 2688، كتاب الجهاد، باب 38 فضل من جهز غازيا أو خلفه بخير. مسلم، صحيح مسلم: كتاب الجهاد، باب 38 فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير. الترمذي، سنن الترمذي: 169/4، 1628، كتاب الفضائل، باب 6 ما جاء في فضل من جهز غازيا.

(77) الحاكم (ت.405هـ)، المستدرك: 110/3، حديث رقم (4553)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(78) البخاري، صحيح البخاري: 169/4، 1628، كتاب فضائل الصحابة، باب 7 مناقب عثمان بن عفان.

(79) الحاكم، المستدرك: 176/2، حديث رقم (2685)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة.

(80) ابن حبان، صحيح ابن حبان: 324/13، حديث رقم (5985).

(81) عن دور السكان في الصراع العربي الإسرائيلي ينظر: الخشت وآخرون، مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي.

(82) الآلوسي، روح المعاني: 9 / 175.

(83) الصنعاني، تفسير القرآن: 2/ 256.

(84) مجاهد، تفسير مجاهد: 1/ 258.

(85) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 4 / 241.

(86) الآلوسي، روح المعاني: 9 / 175.

(87) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 7 / 372.

(88) الثعالبي، الجواهر الحسان: 1 / 323. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 4 /241، 242.

(89) ينظر: البخاري، صحيح البخاري: 1626/4، كتاب التفسير، باب 6 قوله تعالى: (وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون).

(90) ابن الجوزي، زاد المسير: 1/ 84.

(91) البغوي، معالم التنزيل: 1/ 75.

(92) ينظر: البخاري، صحيح البخاري: 1626/4، كتاب التفسير، باب 6 قوله تعالى: (وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون).

(93) ابن الجوزي، زاد المسير: 1/ 84.

(94) البغوي، معالم التنزيل: 1 / 75.

(95) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 247

(96) الشوكاني، فتح القدير: 5 / 98.

(97) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 2 / 863.

(98) المصدر نفسه: 2 / 859.

(99) البغوي، معالم التنزيل: 3 / 509.

(100)الآلوسي، روح المعاني: 21 / 174.

(101) ينظر: البغوي، معالم التنزيل: 3 / 509.

(102) البخاري، صحيح البخاري: 350،998/1، كتاب الاستسقاء، باب 26. مسلم، صحيح مسلم: 617/2، 900، كتاب الاستسقاء، باب 17.

(103) الآلوسي، روح المعاني: 21 / 174.

(104) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2 / 296.

(105)الطبراني، المعجم الكبير: 203/3، حديث رقم (3127).

(106)المصدر نفسه: 203/3، حديث رقم (3128).

(107)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2 / 296.

(108)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 7 / 384.

(109)ابن تيمية، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية: 40/15.

(110)البغوي، معالم التنزيل: 3 / 11.

(111)الطبري، جامع البيان: 24 / 100.

(112)رواه: أبو يعلى، مسنده ابي يعلى: 6/ 183. البيهقي، السنن الكبير: 370/6.

(113)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9 / 296.

(114)الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن: 2 / 267، 268.

(115)الطبري، جامع البيان: 24 / 100.

(116)البغوي، معالم التنزيل: 3/ 11.

(117)الطبري، جامع البيان: 24 / 100.

(118)البيضاوي، أنوار التنزيل: 109/5.

(119)الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 2 / 863.

(120)البيضاوي، أنوار التنزيل: 5 / 317.

(121)الشوكاني، فتح القدير: 4 / 274. أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: 7/ 100.

(122)البخاري، صحيح البخاري: كتاب التيمم، باب 1، وكتاب الصلاة، باب 56. النسائي، سنن النسائي: كتاب الغسل، باب 26.

(123)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 18 / 3.

(124)الطبري، جامع البيان: 10/ 12.

(125)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2 / 316.

(126)المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(127)النحاس، معاني القرآن: 161/3.

(128)المحلى والسيوطي، تفسير الجلالين: 1 / 234.

(129)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15 /10،9.

(130)البيضاوي، أنوار التنزيل: 3 / 348

(131)أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: 5 / 44.

(132)البيضاوي، أنوار التنزيل: 5 / 134.

(133)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 16 / 46.

(134)الطبري، جامع البيان: 5/ 336،335.

(135)ابن الهائم المصري، التبيان في تفسير غريب القرآن: 1 / 283.

(136)ينظر: البخاري، صحيح البخاري: 1759/4، كتاب التفسير، باب 220 تفسير سورة مريم.

(137)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3 / 137، 138.

(138)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 11 / 150.

(139)البيضاوي، أنوار التنزيل: 5 / 247.

(140)المحلي والسيوطي، تفسير الجلالين: 1 /228.

(141)سورة الأنفال، آية (11).

(142)المحلي والسيوطي، تفسير الجلالين: 1 / 229.

(143)الشوكاني، فتح القدير: 2 / 291.

(144)المحلي والسيوطي، تفسير الجلالين: 1/ 229.

(145)الشوكاني، فتح القدير291/2.

(146)المحلي والسيوطي، تفسير الجلالين: 1 / 229.

(147)الشوكاني، فتح القدير: 2 / 291.

(148)نفسه، الصفحة نفسها.

(149)المحلي والسيوطي، تفسير الجلالين: 1/ 229.

(150)ابن تيمية، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير: 15/ 40.

(151)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/ 296.

(152)سورة الأنفال، آية: (17).

(153)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/ 402.

(154)ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن: 55.

(155)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/ 402.

(156)ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن: 55.

(157)رواه: مسلم، صحيح مسلم: 1/ 402، كتاب الجهاد، باب 18 الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم. ابن حنبل، المسند: 1/30-32.

(158) الطبري، جامع البيان: 9/ 190

(159)ابن الجوزي، زاد المسير: 3/ 325.

(160)أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/ 7. وقد سبق تخريجه في مطلع المطلب.

(161)البخاري، صحيح البخاري: 1475/4، كتاب المغازي، باب 6 دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على كفار قريش: شيبة، وعتبة، والوليد، وأبي جهل بن هشام، وهلاكهم.

(162)المصدر السابق: 1/498،194، كتاب أبواب سترة المصلي، باب 19 المرأة تطرح عن المصلي شيئا من الأذى.

(163)رواه: الترمذي، سنن الترمذي: كتاب المناقب، باب 18 في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ابن حنبل، المسند: 95/2. ولمزيد من التفصيل حول رواياته وتخريجه ينظر: السخاوي، المقاصد الحسنة: 155 وما بعدها.

(164)الطبري، جامع البيان: 12/57- 58

(165)نفسه: 58.

(166)البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 239.

قائمة المصادر والمراجع:

1) ابن تيمية، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير، تح: عبد الرحمن محمد قاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د.ت.
2) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1404هـ.
3) ابن جبر، مجاهد، تفسير الإمام مجاهد، تح: عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي، المنشورات العلمية، بيروت، د.ت: 1/258.
4) ابن حنبل، أحمد بن محمد، المسند، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، 1969م.
5) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، د.ت.
6) أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى المعروف، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

7) الأخطل، غياث بن غوث بن طارقة، ديوانه تح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1994م.

8) الآلوسي، محمود بن عبد الله بن محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

9) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط3، بيروت،1987م.

10) البغوي، الحسين بن مسعود الفراء أبو محمد، معالم التنزيل، تحقيق: خالد العك، مروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1987م.

11) البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، 1996م.

12) البيهقي، أحمد بن الحُسَين بن عليّ، السنن الكبير، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2003م.

13) الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك (ت.279هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1395هـ/ 1975م.

14) الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، د.ت.

15) الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم (ت.405هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ/ 1990م.

16) الخشت، محمد عثمان وآخرين، مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي واستراتيجيات إقامة الدولة الفلسطينية، القاهرة، دار قباء، 2002م.

17) الرازي، الفخر، مفاتيح الغيب، مكتبة الإيمان، القاهرة، 1412هـ.

18) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن، المقاصد الحسنة، تحقيق: محمد عثمان الخشت، بيروت، دار الكتاب العربي،1405هـ.

19) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت، د.ت.

20) الصنعاني، عبد الرزاق، تفسير القرآن، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، الرياض، مكتبة الرشد، السعودية، ط1، د.ت.

21) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الموصل، مكتبة العلوم والحكم، ط2، 1983م.

22) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، 1405هـ.

23) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، القاهرة، دار الشعب، ط2، 1372هـ.

24) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ط3، 1985م.

25) المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، د.ت.

26) محمد بن حبان بن أحمد، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت 1993م.

27) الموصلي، أبو يعلى أحمد بن علي بن المُثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، مسند أبي يعلى تحقيق: حسين سليم أسد: دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1404 – 1984م.

28) النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419 هـ - 1998م.

29) النحاس، أحمد بن محمد، معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، ط1، 1409.

30) النسائي، أحمد بن علي بن شعيب بن علي، سنن النسائي، دار الحضارة الإسلامية، الرياض، ط2، 1436هـ.

31) النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1355م.

32) الهائم المصري، شهاب الدين أحمد بن محمد، التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق: فتحي أنور الدابولي، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ط1، 1992م.

33) الواحدي، علي بن أحمد أبو الحسن، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دمشق، بيروت، دار القلم، الدار الشامية، 1415هـ.